الرواية عند السيوطي

في تفسير الجلالين

الدكتور نور الدين عتر

تفسير الجلالين تفسير مشهور ، كثير التداول بين الناس لوجازته واختصاره . وسبب تسمية هذا التفسير بذلك أنه اشترك في تأليفه إمامان ، يلقب كل واحد منهما « جلال الدين » :

الأول : جلال الدين محمد بن أحمد المحَلِّي ، الفقيه الأصولي الشافعي المتوفى سنة ٨٦٤هـ .

الثاني : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي العلامة الامام الشهير ، المتوفى سنة ٩١١هـ .

ومن لطائف المقادير أن الإمام المحلي بدأ عمله من أول النصف الثاني من المصحف من سورة الكهف إلى آخره ، وسلك هذه الطريقة ، لأنه وجد أناساً شرعوا في التفسير ثم لم يكملوه ، لكن المنية حالت دون الأمنية ، فتوفي المحلي دون أن يتمكن من تفسير النصف الأول ، فجاء الإمام السيوطي بعده ، وأكمل العمل على خطة المحلي نفسها ، فصار التفسير مشهوراً بهذا الاسم « تفسير الجلالين » . وحسبك بكتاب موجز جد الإيجاز يُعنى به إمامان جليلان .

وبدراستنا لهذا التفسير وجدنا أن عمل الإمامين مع تشابهه من حيث الظاهر يتميز عن بعضه لدى التدقيق ، والذي يمكن أن نلخصه : أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جانب التفسير بالمأثور أكثر توفراً لدى السيوطي في عمله هنا من عمل المَحَلِّيِّ .

والتفسير المأثور هو الأصل الأول في تفسير القرآن الكريم ، لا يستغني عنه المفسر ، مهما أوتي من العلم وعمق النظر ودقة الفهم . ويعتمد التفسير المأثور على تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالحديث النبوي .

وقد تلقى الصحابة تفسير القرآن عن النبي ﷺ ، ونقلوه للناس ، وأضافوا من اجتهاداتهم تفسيراً لما لم يتلقوا تفسيره ، وكذلك تلقى التابعون التفسير عن الصحابة ، واجتهدوا كذلك .

ومن هنا صار لتفسير الصحابة والتابعين شأن كبير لكثرة ما دخل في تفسيرهم من الحديث النبوي ، ولقرب عهدهم من عهد النبوة ، والصحابةُ في ذلك أعظم من التابعين .

ومع الاختصار الشديد في تفسير الجلالين ، فقد احتل الاستشهاد بالحديث حجماً لا بأس به ، ونتكلم عن عمل السيوطي في الاستشهاد بالحديث النبوي في تكملة تفسير الجلالين فيما يلي :

أولاً : أسباب النزول :

سبب النزول : هو : ما نزلت الآية أو الآيات تتحدث عنه أيام وقوعه ، فهو يتناول أيّ حَدَث نزلت الآيات بشأنه ، من قول يقال ، أو سؤال يطرح ، أو واقعة تحدث . واشترطوا فيه « أيام وقوعه » لأمرين هامين :

١ – صيانة الدارس عن أن يخلط بين سبب النزول ، وبين موضوعات الآيات التاريخية من وقائع الأمم الماضية التي أخبر عنها القرآن ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقصها على الناس ، فليست تلك الوقائع مثل قصة إبراهيم وموسى وعيسى وأصحاب الكهف وغيرها ليست أسباب نزول للآيات ، لأنها لم تقع أيام نزول القرآن .

٢ ـ عبروا بقولهم « أيام وقوعه » بالجمع ، لأنه قد ينزل القرآن بعد السبب بقليل ، مثل آيات قصة الكهف ، نزلت بعد خمسة عشر يوماً من سؤال المشركين للنبي ﷺ ، وهناك آيات نزلت بعد شهر من سببها[١] . ومعلوم أن القرآن لم ينزل كله على أسباب ، بل منه ما نزل ابتداء غير مسبوق بسبب ، على المعنى الذي شرحناه ، ومنه ما أنزل على أسباب .

ولمعرفة سبب النزول فوائد في غاية الأهمية نذكر منها ما يلي بإيجاز :

١ ـ الاستعانة على فهم المعنى المراد ، لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبَّب .

قال الواحدي : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »[٢] .

وقال ابن تيمية : « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب » .

٢ ـ معرفة وجه الحكمة التي ينطوي عليها التشريع مما يكون أدعى لتفهمه وتقبّله : فمن قرأ أسباب نزول آيات تحريم الخمر متدرجة واحدة تلي الأخرى أدرك ضرورة تحريم الخمر ، وَبَعَثَهُ موقف الصحابة وامتثالُهم العجيب عند نزول تحريمها البات لأن يقتدي بهم ، ويأتسي بعملهم .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١ : ٣١ ، ومناهل العرفان للزرقاني : ١ : ١٠١ ، والمدخل إلى دراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة : ١٣٣ .

(٢) مطلع كتاب أسباب النزول للواحدي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ – كشف أسرار البلاغة في القرآن العظيم :

وذلك أن ركن البلاغة الأساسي هو : « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ، ومن العسير أن يصل دارس القرآن إلى بلاغته وخصائص أسلوبه دون علم أسباب النزول ، التي يدرك بها خصوصيات مقاصد الأسلوب ، حيث يجد أن القرآن الكريم راعى مقتضى حال المخاطبين في عصر نزوله على أعلى مستوى معجز ، في الوقت ذاته الذي تلاءَم أسلوبه مع مقتضى حال العالمين إلى يوم الدين(٣) .

ولهذه المكانة لأسباب النزول تشدد السلف في البحث عن أسباب النزول ، حتى قال الإمام محمد بن سيرين : « سألتُ عَبِيدَة (أي السلماني) عن آية من القرآن فقال : « اتق الله وقُل سَداداً ، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله القرآن »(٤) .

ومن هنا كان البَدَهي أن يعتمد السيوطي في تفسيره للقرآن على علم أسباب النزول ، كيف وهو مؤلف « لُبَابِ النُّقول في أسباب النزول » و « الدرالمنثور في التفسير بالمأثور » . لكن هذا لا يُلزمه أن يذكر أسباب النزول في كل المواضع ، بل حسبه أن يكون عمله مبنياً على هذا العلم . ومع ذلك فقد ذكر جملة صالحة من أسباب النزول ، بطريقة الإيجاز والإشارة ، مراعاة للاختصار الذي بُنِيَ هذا التفسير عليه .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذينَ يَزْعُمونَ أنهم آمَنُوا بما أُنْزِلَ إليك

---

(٣) انظر دراسة موسعة مع الأمثلة التطبيقية في كتابنا « القرآن الكريم والدراسات الأدبية » : ٥٨ – ٦٧ .

(٤) الموافقات للشاطبي : ٤٢٢ – ٤٢٣ ، والإتقان : ١ : ٣١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ ، يُريدونَ أنْ يَتحاكَمُوا إلى الطّاغُوتِ وقد أُمِروُا أنْ يَكْفُروا به .. ﴾ .

قال السيوطي : « ونزل – لما اختصم يهودي ومنافق ، فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ ، فأتياه فقضى لليهودي ، فلم يرض المنافق ، وأتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك ، فقال للمنافق : أكذلك قال ؟ قال : نعم . فقتله – : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون .. ﴾[٥] .

ففي هذه القصة روايات كثيرة ، كثير منها لا يذكر الذهاب إلى عمر ، ولا يذكر كعب بن الأشرف ، وقتل عمر للمنافق[٦] ، لكن السيوطي هنا اختار هذه الرواية لكونها أجمع الروايات ، واختصر سياقها قليلاً ، وكأنه لحظ فيها المناسبة لما يأتي بعد في الآيات من ذكر المصيبة التي أصابت المنافقين بما كسبت أيديهم .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ ويُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصيْبُ بِها مَنْ يشاء وهُمْ يُجادِلُونَ في الله ﴾ .

قال السيوطي في هذا النص : « نزل[٧] في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه ، فقال : مَنْ رسول الله ؟ وما الله ؟ أمِنْ ذهب هو أم من فضة أم نحاس ؟ . فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه »[٨] .

---

(٥) سورة النساء : الآية : ٥٩ ، وقوله : ﴿ ألم تر ﴾ في محل رفع فاعل لنزل . تفسير الجلالين : ١١٥ .

(٦) انظر الدر المنثور ٢ : ١٧٨ – ١٧٩ ، ولباب النقول بذيل الجلالين : ١٧٠ .

(٧) أي النص المذكور ، وهو قوله تعالى : ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ .

(٨) سورة الرعد : الآية : ١٤ ، وانظر تفسير الجلالين : ٣٢٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا تلخيص لسبب النزول الذي ورد من عدة طرق يقوي بعضها بعضاً[٩] .

وهكذا يورد السيوطي ما كان ثابتاً من أسباب النزول مقتصداً في ذلك ، مع تلخيص الرواية مراعاة لطبيعة الكتاب ، واعتماداً على كتب التفسير المأثورة وكتابه « لباب النقول في أسباب النزول »[١٠] .

لكن يستثنى من ذلك موضع يستدعي وقفة تأمل لعمل السيوطي في أسباب النزول ، بل التعجب ، ذلك هو سبب النزول الذي ذكره في الآيات : ٧٦ – ٧٨ من سورة التوبة ، فقد ذكر السيوطي سبب النزول مدمجاً بالآيات هكذا :

﴿ ومِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِن آتَانا مِنْ فَضْلِه لَنَصَّدَّقَنّ ولَنَكُونَنّ مِنَ الصّالِحين ﴾ : وهو ثعلبة بن حاطب ، سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ، ويؤدي منه كل ذي حق حقه . فدعا له ، فوسّع عليه ، فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِه بَخِلُوا بِه وتَوَلَّوْا وهُمْ مُعْرِضُون . فَأَعْقَبَهُم نِفاقاً في قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَه بِما أَخْلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوه وبِما كانوا يَكْذِبون ﴾ فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته ، فقال « إن الله منعني أن أقبل منك ، فجعل يحثو التراب على رأسه . ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ، ثم إلى عمر فلم يقبلها ، ثم إلى عثمان فلم يقبلها ، ومات في زمانه »[١١] .

---

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٢ : ٥٢٤ ، ولباب النقول : ٣٢٩ – ٣٣٠ .

(١٠) انظر مثلاً تفسير الآيات التالية من الجلالين : سورة النساء آية ٦٨ ، و ١٠٤ والمائدة آية ٣٦ و ١٠٤ والأنعام : ٩٣ و ١١٤ وغيرها .

(١١) سورة التوبة : الآيات : ٧٦ – ٧٨ [تفسير الجلالين : ٢٦١ – ٢٦٢] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هكذا أورد السيوطي قصة سبب النزول ملخصة عن رواية فيها تفاصيل وسرد يشبه أسلوب القصاص ، وحبكهم للحكايات ، وكان ذلك من أسباب ذيوع القصة وانتشارها على ألسنة الوعاظ والخطباء ، ولعل هذا الذيوع جعل السيوطي يوردها هكذا ، مع أن فيها إشكالات في السند وفي المتن ، نبيّنها بإيجاز فيما يلي :

أما في السند :

فقد اختلف الرواة في ذكر اسم صاحب القصة . فبعض الرواة سماه « ثعلبة بن حاطب » ، وبعضهم لم يسمه إطلاقاً بل أغفله[١٢] .

ونلاحظ بالدراسة للأسانيد أن الروايات التي ورد فيها تعيين الاسم أنه ثعلبة بن حاطب ضعيفة ، قال الإمام البيهقي[١٣] بعد أن أوردها : « هذا حديث مشهور بين أهل التفسير ، وإنما يُروى موصولاً بأسانيد ضعاف » .

بينما نجد الروايات الأخرى التي لم يذكر فيها اسم الصحابي ، ولا إشكالات المتن التي سنذكرها ثابتة بالأسانيد من صحيح وحسن . فكانت هي العمدة في هذه القصة .

وأما المتن فمشكل من وجوه ، نذكر منها ما يلي :

١ – في القصة أن صاحبها هو ثعلبة بن حاطب ، وثعلبة بن حاطب صحابي أنصاري ، قديم الإسلام شهد بدراً[١٤] ، فهو إذن ثابت

---

(١٢) انظرها بأسانيدها في جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٤ : ٣٦٩ – ٣٧٤ .

(١٣) دلائل النبوة : ٥ : ٢٩٢ .

(١٤) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣ : ٤٦٠ ، والاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٢٠٠ هامش الإصابة ، والثقات لابن حبان ٣ : ٣٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العدالة ، لا يمكن وصفه بالنفاق ، لأن عدالة الصحابة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع[١٥] ، فضلاً عن كونه من أهل بدر ، وفضلهم ثابت بالتواتر .

٢ – تعارض تسمية صاحب القصة ، فهناك من يقول : إنه ثعلبة بن حاطب ، وقيل : ثعلبة بن أبي حاطب ، وقيل : حاطب بن أبي بَلْتَعَة . وكأن التسمية وردت لذهن بعض الرواة تواردا مصادفاً دون مستند ثابت .

٣ – أن نص القرآن حكى الواقعة عن جماعة ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصّدَّقَنّ ﴾ ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا .. ﴾ ، والرواية تجعله واحداً . فهي تخالف نص القرآن .

٤ – أن القصة تصادم قواعد الشرع في قبول التوبة ، فقد ذكرت أن الرجل تاب وأتى بزكاة ماله إلى النبي ﷺ فرفضها ، ثم إلى أبي بكر فلم يقبلها ، وهكذا عُمر وعثمان . وذلك خلاف قواعد الشرع في قبول التوبة من الذنب .

إن أصول الشرع في إجْراءِ الأحكام تُلْزِمُ بتطبيقها على الناس كلهم ، على قدم المساواة ، وأخذاً بظواهر أحوالهم التي هي الإسلام ، دون تفتيش عن بواطنهم ، وقد كان النبي ﷺ يعامل المنافقين بحسب ظاهر إسلامهم ، حتى رأس المنافقين عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ، عامله النبي ﷺ بحسب ما يُظْهِرُ من الإسلام ، فكيف تُخالفُ هذه القاعدة هنا في هذا الرجل ؟!! .

---

(١٥) انظر هذه الدلائل في كتابنا : منهج النقد في علوم الحديث ص ١٢١ – ١٢٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانياً : تفسير القرآن بالحديث :

نجد في عمل السيوطي ، في تكملة تفسير الجلالين ، جملة جيدة من الأحاديث ، يستشهد بها لمناسبة شرحه معنى الآية ، كما نوضح ذلك فيما يلي : فمنه قوله تعالى : ﴿ الذينَ آمَنُوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أولئكَ لَهُمُ الأَمْنُ وهم مُهْتَدُون ﴾ .

قال السيوطي : « ولم يلبسوا (يخلطوا) إيمانهم بظلم (أي شرك ، كما فُسِّرَ بذلك في حديث الصحيحين »[١٦] .

فقد فسّر الآية بالحديث ، مقتصراً على الإشارة إلى الحديث وتخريجه . وهو حديث صحيح متفق عليه ، عن ابن مسعود قال : (لما نزلت : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم .. ﴾ شق ذلك على المسلمين ، وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : « يابُنَيّ لا تُشرك بالله إنّ الشِّرْك لَظُلْمٌ عَظِيم »[١٧]) .

ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ لَنْ تَراني ، ولَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ فانِ اسْتَقَرَّ مكانَه فَسَوْفَ تَراني فلما تَجَلّى رَبُّه لِلْجَبَلِ جَعلَه دكّاً وخَرّ مُوسى صَعِقا ﴾ .

قال السيوطي : (﴿ فلما تجلى ربه ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر ، كما في حديث صححه الحاكم ...)[١٨] .

---

(١٦) سورة الأنعام الآية ٨٢ ، وتفسير الجلالين : ١٨٢ .

(١٧) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٢ : ٥٦ .

(١٨) سورة الأعراف : الآية : ١٤٢ وتفسير الجلالين : ٢٢١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ففسر الآية بالحديث ، مشيراً إليه وإلى مصدره وحكمه .

والحديث أخرجه أيضاً أحمد والترمذي وقال : « حسن صحيح »[١٩] . فاختصر السيوطي وعزا الحديث للحاكم فقط وذكر درجته . وكان عزوه للترمذي أولى ، لكن يبدو أنه اعتمد في اقتباسه على لفظ الحاكم .

وهكذا درج في مواضع أخرى أيضاً ، يقتبس جملة من الحديث ، ويعزوه إلى مصدره[٢٠] .

وقد يفسر السيوطي القرآن بالحديث على الطريقة المتقدمة في الاقتباس المختصر ، لكن دون عزوٍ لمصدر الحديث :

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في آخر آية الكرسي : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّه السماواتِ والأَرْضَ ولا يَؤُودُه حِفْظُهُما وهُوَ العَلِيُّ العَظِيم ﴾ .

قال السيوطي : (﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ قيل : أحاط علمه بهما ، وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته ، لحديث : « ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلْقِيَتْ في ترس »)[٢١] .

وهذا الحديث غريب جداً ، والمشهور « ما السموات السبع » ، وفي رواية « ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة ، وما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة »[٢٢] .

---

(١٩) تفسير ابن كثير : ٢ : ٢٢٤ .

(٢٠) انظر الصفحات : ١٢٥ ، ١٥٦ ، ١٩٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٨٦ ، من تفسير الجلالين .

(٢١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ ، وتفسير الجلالين : ٥٦ .

(٢٢) الدر المنثور : ١ : ٣٢٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكنه لا يفيد اشتمال الكرسي على السموات . وهذا الحديث الأخير أورده السيوطي بشواهد له بمعناه في الدر المنثور[٢٣] ، ولم يذكر فيه الحديث الذي ذكره في تكملة تفسير الجلال المحلي ، مما يدل على شدة غرابته . وقد خرجه الطبري بسنده عن ابن زيد عن أبيه مرفوعاً ، فهو ضعيف ومرسل[٢٤] ومثل هذا الصنيع في الرواية نادر عند السيوطي ، وأكثر ما يغفل التخريج في أسباب النزول ، لكنه يتخير فيها ما هو قريب ، إلا ما تعقبناه في قصة ثعلبة .

ثالثاً : الإسرائيليات :

المراد بالإسرائيليات اللون اليهودي والنصراني من الثقافة والأخبار عن الأمم السابقة . وقد كثر النقل لهذا اللون في بعض كتب التفسير ، دون تمييز بين ما يُقبل وما لا يُقْبَل وما يُتوقف فيه ، وكان لذلك أثر سيئ في التفسير ، خصوصاً ما كان من القصص الخيالي المُخْتَرع .

وتنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة نوضحها مع حكمها فيما يلي :

القسم الأول : ما يُعلم صحته بأن نُقل عن النبي ﷺ نقلاً صحيحاً ، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام ، أنه الخضر ، فقد ثبت ذلك صريحاً في الحديث في صحيح البُخاري . كذلك ما كان له شاهد من الشرع يؤيده ، وهذا القسم صحيح مقبول .

القسم الثاني : ما يُعلم كَذِبُه ، بأن يناقِض ما عرفناه من الشرع ، أو

---

(٢٣) الموضع السابق .

(٢٤) انظر ابن كثير ١ : ٣١٧ . وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف ، ضعفه أحمد والدارقطني ، كما في المغني في الضعفاء رقم ٣٢٦٨ ، وأبوه تابعي ولم يذكر الواسطة وذلك ضعف آخر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان لا يتفق مع العقل . وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته إلا مع التحذير منه .

القسم الثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا هو من قَبيل الأول ولا هو من قبيل الثاني . وهذا القسم نتوقف فيه ، فلا نؤمن به ولا نكذبه . لأنه إن قبلناه قد يكون غير ثابت لما دخل تراثهم ، ونقلهم من الكذب . وإن كذَّبناه فقد يكون ثابتاً ، لذلك نتوقف فيه .

وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافاً كثيراً ، وقد تختلف عبارات بعض المفسرين مع بعض بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى ومن أي الشجر كانت . وأسماء الطيور التي أحياها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ، وتعيين بعض البقرة الذي ضُرِب به قتيل بني إسرائيل فأحياه الله وبيّن قاتله ، قال : قتلني ابنُ أخي .

إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن ، لحكمة جليلة ، مثل عدم شغل القارئ بما لا فائدة فيه ، في أمر ديني ولا دنيوي[٢٥] . ونجد السيوطي يورد نبذاً من الإسرائيليات في تفسيره هذا متنوعة ، منها ما يمكن قبوله ، لموافقته مقصد نص القرآن .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ واتّبَعُوا ما تَتْلو الشَّيَاطِيْنُ على مُلْكِ سُلَيمانَ وما كَفَر سُلَيْمان ولكن الشياطين كفروا ... ﴾ .

---

(٢٥) انظر في مسألة الإسرائيليات مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير : ١٣ ـ ١٤ و ٢٦ ـ ٢٧ ، والتفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١ : ١٩٩ ـ ٢٠١ ففيه بحث واسع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال السيوطي : (﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما فزع ملكه .؟!! .

أو كانت تسترق السمع – يعني إلى السماء – وتضم إليه أكاذيب ، وتلقيه إلى الكهنة ، فَيُدَوِّنُونَه ، وفشا ذلك وشاع أن الجِنّ تعلم الغيب ، فجمع سليمان الكتب ودفنها ، فلما مات دلت الشياطين عليها الناس ، فاستخرجوها ، فوجدوا فيها السحر ، فقالوا : إنما ملككم بهذا فتعلموه ، ورفضوا كتب أنبيائهم ..)[٢٦] .

فقوله: « أو كانت تسترق ... »، موافق لمقصود الآية، وهو افتراء اليهود وقلبهم الحقائق ، وجعلهم عمل سليمان من السحر ، مع أنه كان حرباً على السحر عليه السلام ، مما يجعل إيرادها ممكن القبول .

ومن الإسرائيليات عنده ما يتوقف فيه لغرابته :

ومن أمثلة ذلك قوله في شأن البقرة التي أُمر بنو إسرائيل بذبحها ، ومراجعتهم في صفاتها ، فقال : « فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بِملْءِ مَسْكها ذهباً »[٢٧] . فقوله « بملء مَسْكِها » أي جلدها غريب حقّاً ، والقصة طويلة ، اختصرها السيوطي ، وفيها حبك غريب ، الله أعلم بحقيقتها .

ومن الإسرائيليات المشكلة عند السيوطي ما أورده في تفسير قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ ولقد هَمَّتْ بِه وهَمَّ بِها لَوْلاَ أنْ رأى بُرْهَانَ ربه ﴾ .

قال السيوطي : « قال ابن عباس : مُثِّل له يعقوب فضَرَب صدره ،

---

(٢٦) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ ، وتفسير الجلالين : ٢١ .

(٢٧) سورة البقرة : الآيات : ٦٧ – ٧٣ ، وتفسير الجلالين : ١٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فخرجَت شهوَتُه من أنامله ، وجواب لولا لجامعها »[٢٨].

وهذا مشكل غير مقبول ، لما هو معلوم من عصمة الأنبياء عن القبائح ، قبل النبوة وبعدها ، وهذا لا يتفق مع العصمة ، لأنه يؤدي إلى أنه ترك الفاحشة لأمر مُلْجِئ .

وقوله : « وجواب لولا لجامعها » غير مُسَلّم . بل المعنى « لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها » . أي أنه لم يَهِمّ بها إطلاقاً . كما تقول : « سافر فلان ، وسافرتُ لولا المرض » . أي أنك لم تسافر .

وفي تفسير الجلالين عدة روايات وإسرائيليات باطلة لا يجوز قبولها ولا تصديقها بحال ، بعضها عند السيوطي ، وأكثرها وأشدها خطراً عند المحلّي ، لغلَبَةِ اشتغاله بالفقه .

(٢٨) الآية : ٢٤ من سورة يوسف ، وتفسير الجلالين : ٣١٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المراجع

- الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- أسباب النزول للواحدي ، تحقيق سيد أحمد صقر . ط. دار المعارف – القاهرة .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، بحاشية الإصابة . ط . الخانجي .
- تفسير الجلالين . ط. دار مروان – الدار الغربية .
- تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن كثير . ط. دار المعرفة – بيروت .
- التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي . ط. دار إحياء التراث العربي . – بيروت .
- الثقات ، لمحمد بن حبان البستي . ط. الهند .
- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، للطبري . ط. دار المعارف – مصر .
- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين . ط. دار الفكر . بيروت .
- الدار المنثور في التفسير المأثور ، للسيوطي . ط. دار الثقافة – بيروت .
- دلائل النبوة ، للبيهقي . تحقيق عبد المعطي قلعه جي . دار الفكر .
- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد . ط. دار بيروت . لبنان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

– القرآن الكريم والدراسات الأدبية . للدكتور نور الدين عتر . ط. جامعة دمشق .

– لباب النقول في أسباب النزول . بذيل تفسير الجلالين .

– المدخل إلى دراسة القرآن الكريم . لمحمد محمد أبو شهبة . ط. مصر .

– المغني في الضعفاء للإمام شمس الدين الذهبي . تحقيق الدكتور نور الدين عتر . ط. دار المعارف . حلب .

– مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية . ط. مطبعة الترقي ، دمشق .

– مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني . ط. دار إحياء الكتب العربية – الطبعة الثانية بالقاهرة .

– منهج النقد في علوم الحديث ، للدكتور نور الدين عتر . ط. دار الفكر . الطبعة الثالثة .

– الموافقات ، للشاطبي . ط. المكتبة التجارية . مصر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net